PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8): 1186-1197
ISSN: 1553 6939

The Sufi Dimension and its Significance in the Novel "The Journey of the Wayfarers" by Muhammad Muflih

Dr. Omelkir Silet

Laboratory of cognitive integration between Arabic language sciences, literature and social sciences, University of Shahid Hama Lakhdar - El Oued, Algeria

omelkirsilet17@gmail.comEmail:

Received: 28/05/2024 **Accepted: 02/07/2024** **Published: 25/08/2024**

Abstract:

Talking about Sufi travel literature is not a simple or easy matter due to the real and metaphorical meanings it contains, especially when it comes to the novelist Muhammad Muflih, who excelled in narrating the journey with a Sufi character, moving between Sufi places and taking his Sufi hero as a means of expressing the lost self through the depths of life.

What everyone agrees on is that Sufism in the current era has become one of the heritage components that enrich the human experience and provide it with different visions and many symbols from which the writer can start to enrich his creative experience, especially since the Sufi experience is rich in connotations and suggestive symbols that can be interpreted by the reader. This is what made me choose the novel "Safar al-Salikeen" by Muhammad Muflih and devote it to study and analysis through this research paper of mine to describe some of the Sufi stations that were embodied in the Sufi times and places that added an aesthetic touch to my chosen blog and distinguished it from the rest of the works of the novelist Muhammad Muflih, who has always relied in most of his previous writings on starting from reality. So, what are the most important Sufi dimensions that the novelist relied on to convey his Sufi vision to us?

Keywords: Narration - Journey - Sufism - Sufi figures - Sufi times - Sufi places.

PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8): 1186-1197
ISSN: 1553 6939

البعد الصوفي ودلالته في رو اية " سفر السالكين " لمحمّد مفلاح

د. أم الخير سيلت

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي.

ملخص:

إنّ الحديث عن أدب الرّحلة الصّوفية، ليس بالأمر البسيط أو اليسير لما يتخلله من معاني حقيقية ومجازية، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالرو ائي محمّد مفلاح الّذي برع في سرد الرّحلة بطابع صوفي، متنقّلا بين أمكنة صوفيّة متّخذا بطله الصّوفي كوسيلة للإفصاح عن الذّات التّائهة عبر أغوار الحياة .

إنّ الأمر الذي لا يختلف فيه الجميع هو أنّ التّصوف في العصر الحالي أصبح يُشكّل أحد المقوّمات التّر اثية الّتي تُغني التّجربة الإنسانية وتمدّها برؤى مختلفة وبرموز كثيرة ينطلق منها الأديب في إثراء تجربته الإبداعية خاصة أنّ التّجربة الصّوفية ثرية بالدّلالات والرّموز الإيحائية القابلة للتأويل من طرف القارئ، وهذا ما جعلني أختار رو اية سفر السالكين لمحمدّ مفلاح وأخصُّها بالدّراسة والتحليل عبر ورقتي البحثية هذه لأقف عند وصف بعض المحطّات الصّوفية الّتي تجسّدت في الأزمنة والأمكنة الصّوفية الّتي أضافت مسحة جمالية لمدونتي المختارة وميّزتها عن باقي أعمال الرو ائي محمّد مفلاح الّذي طالما اعتمد في جلّ كتاباته السّابقة على الانطلاق من الو اقع، فيا ترى ما هي أهم الأبعاد الصّوفية الّتي اعتمدها الرّو ائي لينقل لنا رؤيته الصّوفية؟

الكلمات المفتاحية: السّرد -الرّحلة -التّصوف- الشخصيات الصّوفية- الأزّمنة الصّوفيّة- الأمكنة الصّوفية .

مقدمة:

لقد استطاعت الرّحلة أن تستحوذ على مكانة هامة في الدّراسات النّقديّة الحديثة، وهذا راجع لحضورها المميّز الّذي ميّزها على مستوى الإبداع النّثري والشّعري ، وهذا ليس بالأمر الجديد فالدّراسات السّردية الكلاسيكية عُرفت بتواجد هذا الفن تحت إطار ما يُسمّى بأدب الرّحلات، إلّا أنّ الرّحلة عند المتصوّفة أخذت طابعا مغايرا وهذا راجع لِرمزيتها المكثّفة حيث أنّها متصلة بالمعرفة الحدسية (الذّوقية

)والكشف والتّجلي، والتّرقي في الأحوال والمقامات للوصول إلى حقيقة العلم بالله تعالى، والاتصال بالخفايا والأسرار والأنوار، وهذا هو غاية السّالكين وكذلك السّائرين إلى الله تعالى .

نحن نعلم أنّ الرحلة تنقسم إلى نوعين، رحلة جسدية واقعيّة (حقيقية) ومن أمثالها الرّحلة الحجازية، والرّحلة السّياحية، والرّحلة العلمية، والرّحلة الزّيارية وغيرها من الرّحلات، أمّا الرحلة الثّانية وهي محور اهتمامنا المسماة بالرّحلة الرّوحية القلبية(الرّمزية)البعيدة كلّ البعد عن الرّحلات الواقعية، إذ أنّ المرتحل الصوفي يتخذ من رحلته الرّوحية منزلة للتّرقية عبر المقامات العرفانية من أجل الكشف عن الحقائق والاتصال بالأنوار والأسرار، فهي بإختصار رحلة رمزيّة تتوضّح مجالاتها داخل نفس الصّوفي منطلقة من سفر القلب، وإذا كانت الرّحلة الواقعيّة قد استحوذت على مساحة الدّراسات النّقديّة وحظيت على مكانة وحضور داخل السّرد والشّعر فإنّ الرّحلة الصّوفية لا تزال من الأبحاث الّتي تحتاج إلى البحث أكثر لكشف أغوارها و تحديد مفاهيمها و كذلك التّعمّق أكثر في دورها في السُّموّ بالإبداع الأدبي خصوصا السّردي، ومن هنا، جاءت دراستي في محاولة مبسّطة قائمة على قراءة سردية محمّد مفلاح الموسومة بِ **"سفر السّالكين"في محاولة من أجل البحث عن أهمّ الأبعاد الصّوفيّة المتجسدة في الرّو اية لذلك انطلقت من أهم إشكالية شغلت بالي وجعلتني أطرح السّؤال التّالي:**

ما هي أهم هذه الأبعاد الصّوفية التي حوتها الرّو اية؟ وكيف ساهمت في نقل رؤية الرّو ائي محمّد مفلاح اتجاه التّراث ؟

ومن أجل البحث عن هذه الأبعاد ارتأيت إلى الاتكاء على المنهج الوصفي المناسب لوصف التحولات الّتي مرّ ت بها شخصية البطل الصّوفي الهاشمي المشلّح، إضافة لوصف بعض الأمكنة الصّوفية التي اعتمد عليها الرّو ائي في تنقُّل بطله .إضافة إلى التوقف قليلا عند بعض الأزمنة الاسترجاعية التي ساهمت في نقل بعض التغيرات والقضايا التي عانى منها المجتمع الجز ائري.

مفتتح.

يعمد الرِّو ائي حين تشكيله لنصّه السّردي بشكلٍ من الأشكال وفي لحظة من اللحظات سواء بطريقة واعية أو لا واعية إلى استدعاء نصوص أخرى بكل مستوياتها الظاهرة والمضمرة، فيقوم باستدعائها لتختلط بتعرجات متنه وتتفاعل مع مكنوناته وخباياه، وهذا ما حدث مع أديبنا محمّد مفلاح في رو ايته المختارة انطلاقا من التّناص الّذي حدث على مستوى العنوان وهذا ما سنتأكد منه

بعد حين من خلال التركيز على محطات المرجعية التخييلية، أما المرجعية الرحلية فلن نتوقف عندها كثيرا لكون أن هناك العديد من الدارسين الذين تناولا هذا الجانب بالكثير من الوصف والتحليل وسنكتفي بالإشارة إليها فقط من خلال ذكر أهم العناصر التي تنطلق منها الرحلة .

أ- المرجعية الرحلية لرو اية سفر السالكين لمحمد مفلاح :

صحيح أن السفر هو استجابة لنداء الفطرة التي جبل عليها الإنسان وهي حب الحركة والانتقال من مكان إلى أخر، فبواسطة السفر تنكشف أغوار المجاهيل إلا أن هذه التيمة " الترحال/ السفر"تمثل للفرد العربي العز التليد أو الذاكرة الجمعية التي تدعوه للبحث دائما عن الذات الجماعية فالعرب اعتادت العيش ضمن جماعات تتنقل من مكان لأخر، ولعل هذا ما جعل محمد مفلاح يعبر لفن الرحلة الذي تقاطع مع مدونتنا في توفر الكثير من العناصر والتي سنشير إلى أهمها كمحاكاة الإطار العام للرحلة من خلال توظيف الرحالة، والاستعداد للرحلة، ووجود المر افق، والسرد بضمير الأنا، والبحث عن المعرفة، كل هذا يمكن القول أنه قد توفر في مدونتنا لكننا سنكتفي بالإشارة إليه فقط كون أن جل الدراسات قد تناولته في الكثير من الدراسات، أما ما يهمنا والذي سنقف عنده جليا بالدراسة والتحليل فهو المرجعية التخييلية للرو اية المختارة " سفر السالكين "

ب-المرجعية التخييلية لرو اية سفر السالكين لمحمد مفلاح:

1/ صوفية العنوان .

تتخذ قراءة العنوان مدلولات تفصح عنها العنونة ف << قراءة نصّ بمنأى عن عنوانه تبقى قراءة ناقصة غير تامّة الملامح والرؤية، وقراءة عنوان بمفرده في غياب النّص تبقى قراءة مشوّقة وملمّة. لما يحيل عليه العنوان في تقاطعه مع نصّه>>[1]

وهذا ما جعلني أهتم بعتبة العنوان.

انطلاقا من قراءة العنوان نجد تناصا ظاهرا بين عنوان مدونتنا " سفر السّالكين "وعنوان مؤلّف بن قيّم الجوزية([2])

نلاحظ بأنّ هناك إشارة مقصودة من طرف الرّوائي دلّت عليها لفظتان اثنتان "سفر" "السّالكين"فكلمة السّفر بالنّسبة للمتصفّح في العنوان الخارجي على غلاف الرّواية، عبارة عن إعلانٌ للتّجدُّدِ والبحث عن التّغيير، والسّفرُ عند المتصوّفة سفران .

واقعي ينحصر في انتقال الجسد من مكان إلى آخر بغية أهدافٍ متعدّدة ومتنوّعة، وروحي يسمو به المسافر الصوفي إلى المعالي حيث يغيب الوعي عنده من أجل الوُصول إلى درجة الفناء في الوُجود.

فنجد على سبيل المثال قول الرّوائي محمّد مفلاح على لسان بطله الهاشمي المفلّح << **هذه الأسفار...السّفر كما قال سيدي الشّيخ يُسفرُ عن معدن الإنسان ...عند ما تراني وأنا أستعدُّ للقيام بأيِّ سفر تجري إلى الحقيقة الجلدية وتضع فيها أشيائي ...** >>([3])

إذا توقفنا قليلا عند لفظة السّالكين نجدها محملة بالتّلميح والإيماء لانتهاج درب المريدين والسّالكين الّذين سبقونا في إتباع هذا المجال أو المسلك الصّوفي.

2/ المتن الصّوفي لرواية سفر السّالكين .

تُعدّ رواية سفر السّالكين لمحمّد مفلاح رواية صوفيّة بامتياز، فهيّ امتداد لأعمال الرّوائي الإبداعية خصوصا أعماله الأخيرة نظرا لِتميُّزها بدلالاتها الصّوفية من مصطلحات، و وعدات للأولياء الله الصّالحين، وزيارة للقبور، والزوايا، فقد ابتدئها الرّوائي بالفقد والحزن متخذا ومنتهجا نهج العارفين بالله للتخلُّص وتجاوز المحطّات الحزينة، وهذا ما يفعله الصّوفي عادة، حيث نجده توسّل بالارتحال نهجا يقوم بالتّنقل من خلاله عبر المقامات والأحوال والمراتب .

1-2 مقام الزهد والرضا .

والذي تمثّل في اتخاذ وسيلة الاعتزال كملاذ له حيث بات البطل <<... يشعر بالغربة في مدينته الّتي لم تعد جذابة...>>([4])

وبالتّالي بات يجري وراء البديل، فهو في حيرة دائمة ممّا كان يحدث له من تغييرات سريعة خصوصا نظرة الآخرين له حتّى أُسرته الّتي بدأت تفرّ منه لِأنّه لم يعد مهمّا، لذلك بدأ يتجه نحو العزلة والتّخلي عن كلّ متاع الحياة والرضا بما كتبه الله له، كلّ ذلك دفع بالبطل إلى الابتعاد والهجران والاعتزال

وبالتالي الرضا والرضوخ لإرادة الله التي لا مفر منها إلا بالقبول حتى يصل إلى السلام الداخلي وبالتالي الطمأنينة والقناعة.

2-2 مقام السالكين (المريدين) .

وهنا تجسّد في لقاءه بمجموعة من الشّيوخ مثل الشّيخ العربي الشيلي رجل الطرق الصوفيّة، حيث بدأ يتلمّس طريقه إلى معرفة اللّه، أي أنه أصبح يريد لقاء الله أو ما يقربه من الله، وشخصية سيدي محمّد الفاتح الّذي يصفه البطل الصّوفي بقوله << **كان إخواني الفقراء متحلقين حول الشّيخ سيدي محمد الفاتح الذي أسند ظهره إلى الجدار**>>([5]) و يضيف قائلا<< **...ركضت نحو الشّيخ الجليل سيدي محمّد الفاتح الذي كان في أبهى هيئة، تُحيط به هالة من الأنوار...**>>[6]**وبالتّدرج قليلا نجده يذكر الشيخ سيدي بومدين** <<**...كنت كلّ صباح أزور ضريح الولي الصّالح، أشمُّ عطر قبره الزّكي ...**>>[7]

كلُّ هؤلاء الشيوخ لمن يكن تقرّب البطل منهم إلّا لكونه يريد التّقرّب من الله .

3-2 مقام التوكل والرجاء والخوف.

إنّ انتقال البطل الصّوفي الهاشمي المشلّح من مقام إلى مقام هو في حقيقة الأمر عبارة عن متعة صوفيّة يتمّ فيها الانتقال من هموم الدُّنيا المتمثلة في طلبات الأسرة ومصاعب الحياة إلى لذّة روحيّة تخلو من المّاديات هو عالم الرّوح والصّفاء <<**...صرت عصفورا مُغرّدا في سماء فسيحة صافيّة ...**>>[8]

4-2 مقام التوبة والصبر.

ومن أهم علامات التوبة استبدال التعلق بالهوى التعلق بطاعة الله والتي لن تتحقق إلا بالكسب الحلال ، ومحاسبة النفس وترك فضول الكلام، والنظر، وحتى فضول الاهتمام باللباس والأكل والشراب وهذا ما قام به بطل مدونة سفر السالكين." الهاشمي المشلح".

أما الأحوال فقد تنوعت بين القرب والشوق والطمأنينة التي بدأ يشعر بها البطل جراء تنقله من مكان إلى أخر.

3/ الشخصيات الصوفية.

استطاع البطل الصّوفي في رو ايتنا الخوض في مغامرات روحيّة، متجاوزا بذلك كلّ الماديات المنحصرة في إكراهات المجتمع.

1-3 الصّفات الدّاخلية لشخصيّة البطل الصوفي الهاشمي المشلّح .

تميّز البطل بكثرة التّطلع إلى عوالم الغيبيات، والقدرة على الانفصال عن العالم الو اقعي والتّحليق بعيدا بغية الهروب منه <<...وبعد خمس وثلاثين سنة من العمل، تخليت عن الوظيفة الّتي اعتقدت أنها كانت عالمي الوحيد، وهي في الحقيقة كانت سجنا خطيرا دفنت فيه كلّ أحلامي...>>[9]

أي أنّ البطل أدرك في نهاية المطاف أنّ الوظيفة عبارة عن قيد مانع لكل جميل و ماتع في الحياة وبالتالي تعتبر عقبة استطاع أن يتجاوزها البطل بقدرته عن كسر هذا القيد، ليضمحل تواجد البطل المادي ويحلّ محلّه الشخص أو الروح الصوفي، عبر رحلة البحث عن الذات التي لن تجد راحتها إلّا بالبحث عن الغيبيات الّتي ستجيب بدورها عن تساؤلات الهاشمي .

2-3 البطل الصوفي المتبتّل إلى ربه.

الأكيد أنّ المتصوّف لن يسمو بروحه ويطهرها من كل مغريات الحياة إلّا بهجر مادياتها وعلى رأسها المر اتب الاجتماعية الّتي قام الرّو ائي بانتقادها في جل أعماله الرّو ائية خصوصا النظام السّائد آنذاك، حتى وصل به الأمر إلى اتخاذ السّفر و التّرحال ملاذًا له، متخذا من زيارة الأضرحة والأولياء الصالحين طريقا أو طقسا نحو الدّروشة والزّهد في الحياة.

3-3 البطل الصوفي الهستيري المنفعل.

يتميّز البطل الصّوفي في رو ايتنا بالتغير، فهو سرعان ما يتغير من حالة لحالة، فمنذ بداية السّرد،لاحظنا أنّ ممارسة الرّياضة الرُّوحية والارتقاء من مرحلة إلى أخرى جليّا وواضحا فهو شبيه بالشخص الهستيري المنفعل المتغير بين الحين والآخر.

أمّا بخصوص صفات البطل الخارجية فالرّو ائي اكتفى بوصفها بقوله<< ... كان مديد القامة ضعيف البنية، يحبُّ ارتداء الملابس الأنيقة ...وكانت طريقة حديثه جميلة ...والابتسامة العريضة لا تفارق شفتيه المنتفختين قليلا، في عينيه الصّغيرتين السوداوين سحر آخاذ>>[10]

من الطّبيعي أن يركّز محمّد مفلاح على صفات البطل الدّاخلية و يهمل الصّفات الخارجية وهذا راجع لتركيزه على الأبعاد الصّوفية الّتي حاول تمرير رؤيته من خلالها.

4-3 بقية الشخصيات الصوفية.

- ❖ الحاج العربي الشيلي الذي تصدر محتوى الفصل الرابع هو شيخ ينتمي إلى الطريقة الصوفية الخضرية يعود معتقده إلى إحياء التراث الروحي ، يحلم بتغيير و اقعه ويتمنى لقاء يجمعه بحضرة الصوفية حتى يغتسل الناس بكل أدرانهم.
- ❖ بعض الشخصيات الصوفية التي لم يتعرض الرو ائي للوقوف عندها بكل تفصيل بل اكتفى بإطلاق صفة رجال الصوفية أو أصحاب الأضرحة التي عادة ما يتم زيارتهم لأخذ البركة .

4/الأمكنة الصّوفية.

يبدو أنّ هروب البطل لا يزال مستمرّا، و هذه المرّة سيكون هروبا من الأمكنة الّتي يرتادها أغلب النّاس واللجوء إلى أمكنة خاصة بالمتصوّف والّتي ستكون في العادة الهروب إلى الأضرحة، حيث أنّ البطل لا يجد راحته إلّا بالتّواجد قربهم مثل ما ورد على لسان السّارد في وصفه لمر افقة البطل <<... للحاج العربي الشيلي إلى زاوية حي العبادة، ثمّ صار ينتقل من حضرة صوفيّة إلى أخرى، ومن زيارة ضريح إلى آخر.>>[11]

فالمقبرة بالنّسبة للرّو ائي الرّجوع إلى الأصل و الامتزاج بالمكان يعني الذّوبان فيه لا سيما الأولياء الصّالحين، حيث يعتقد بأن في هذا الذّوبان محاولة للتغيير مثل قوله <<... قصدت مقبرة سيدي عبد القادر كان الجو لطيفا في هذا اليوم الغائم، وقفت على قبور كثيرة لها شواهد تعلن عن رقادهم الأبدي ومنها قبور أصدقائي السّتة ...>>[12]

وهنا نلحظ نوعا من التسوية بين أصدقائه المتوفين والأولياء الصالحين، ونحن نعلم بأنّ الولي << هو العبد الّذي يتولّى الله سبحانه أمره فلا يكله إلى نفسه لحظة ومن يتولى عبادة الله تعالى وطاعته ...>> [13] وكذلك فعل البطل عند زيارته للأولياء الله الصّالحين

< < ...كنت كلّ صباح أزور ضريح الولي الصّالح أشمّ عطره الزّكي...>>

فزيارة الأضرحة تجعل الصّوفي يعتقد نفسه بأنّه رفقة المغادرين، بل يصل إلى درجة الدّروشة في الكثير من الأحيان فيغيب الجانب المادي (الجسد)و تبقى الرّوح سابحة وهذا كلّه يحيل أو يرمز إلى محاولة تطهير النّفس من دنس الماديات والذي لن يتحقق إلّا برفض العودة إلى الو اقع واللجوء إلى كلّ ما يبعده عن هذا خصوصا هذه الأمكنة التي ستمنحه نقلة روحية .

نجد الرّو اية حافلة بتعداد الأضرحة بحكم زيارة البطل الهاشمي لها، وهو كما نعلم شخصية محورية انطلقت من مدينة غليزان وهي مدينة الرّو ائي محمّد مفلاح الّتي تمّ اختياره لها لما تزخر به من تراث صوفي بغية تعريفه للقارئ الّذي يجهل مدينة غليزان .

أمّا بقية الأفضية فالغالب عليها فضاء الطّبيعة نظرا لكونها أهم مكان يدعو للتأمّل في ملكوت الله، هذا الفضاء الفسيح والمفتوح الذي يبعث على الحيوية والمتعة داخل فضاء النّص، و الرّو ائي يتعمد اللجوء لوصف فضاء الطّبيعة في بعض المحطّات السّردية بغية تعطيل مسار السّرد فيستريح قليلا ويريح القارئ وهذا بغية كسر الرتابة وإزاحة الملل .

في الفصل الثامن والأخير نجد الرو ائي محمد مفلاح ا ختار عنوان " السياحة الأخيرة " وهو عنوان ذو دلالة إيحائية للفضاء المكاني كالأضرحة والزو ايا والمساجد التي زارها البطل الهاشمي المشلح ، كما أنه يعتبر بمثابة خاتمة لأهم أحداث الرو اية ، بل حتى عنوان الرو اية إذا عدنا لتأمله نجده يرتبط أويحيل للفضاء المكاني ألا وهي المسالك التي انتهجتها شخصية البطل. وبمقدار ما هي مسالك مادية للوهلة الأولى فهي تحيل أيضا إلى مسالك أهم شيوخ الصوفية الذين انبهر بهم البطل .

5/ الأزمنة الصّوفية.

باعتبار أنّ الرّو اية الصّوفية هي تجربة جديدة على مستوى الإبداع الأدبي عند الرّو ائي محمّد مفلاح فقد تجرّد من الزّمن الكرونولوجي المهيمن على الرّو اية الو اقعيّة واستبدله بالزّمن الصّوفي الرّاجع لحالات الشّخصية المتصوّفة المتميّزة بالتّحول والانتقال من مقام إلى آخر منطلقة من عزلتها وأحلامها وأسفارها الّتي تجاوزت بها الو اقع لتغرق في مطبات الغيبيات وهذا كلّه بغية اكتشاف الحقيقة، وهو ما يمكن أن نسميه بالحضور الصّوفي .

ونحن نعلم بأنّ الزّمن ينقسم في مدونتا المختارة إلى زمنين، الزّمن الماضي الّذي يشكّل يوميات البطل المتجسّدة في مغامرات البطل الهاشمي المشلّح وصراعه مع الاكراهات الّتي سيطرت على حياته وسلبته حرّيته وسعادته، بما في ذلك الوظيفة، والّذي لابد من الإشارة له والبحث عن طريقة توظيفه، والزمن الصّوفي الذي استطاع الرّوائي أن يتلاعب به ويسخره بطريقة سلسة، والزمن على العموم هو 《 عنصر مهم ذلك لأنه لا بد لفكرة الكاتب أن تتجسد في الشّخصية وأن توجد من خلال خلفية معينة تتواءم من حيث تعبيرها عن تلك الفكرة وتتمثل هذه الخلفية في تواجد الشخصية -الروائية -في مكان وزمان ما ويجب على تلك الشّخصية أن تحسن التّعبير عن الفكرة الّتي يُحمّلها إياها الكاتب والخاصة بالمكان والزمان اللذين اهتم الكاتب بتناولهما للتعبير عن القضايا التي اكتنفتهما.》 (14)

أمّا الزّمن الحاضر فهو قرين التّجربة الصّوفية (المغامرة الصّوفية)حيث استطاع البطل أن يحدث نوعا من القطيعة مع الزّمن الماضي، لينطلق في البحث عن طقوس وممارسات جديدة تكون بمثابة ملاذا له وهذا ما ورد في الرّواية على لسان السارد في قوله :

<<...بدا لي الهاشمي المشلح غارقا في عالمه الخاص ...>>[15]حيث ينتهي الزّمن العادي ليحلّ محلّه الإغراق في عالم جديد منافي للواقع ليصبح البطل في حضرة التّوحد بالمعشوق الذي يتم استحضاره عن طريق الذكر<< الله..الله.>>.[16]

لقد استطاع الروائي عبر هذه المفارقات الزمنية أن يتلاعب بالزمن ويسخره بجمالية الوقوف على الأحداث الماضية التي سيطرت على طول مسار السرد كون الروائي تجرع ألم الفقد والحزن لأصدقائه الذين فقدهم بعد أن ظن أنهم بمثابة جلساء ورفقاء الحياة الجديدة بعد التقاعد الذي ألم بهم . فالاسترجاع أصبح بمثابة المتنفس لهاته الشخصيات. خصوصا البطل . والاسترجاع كما نعلم يساهم في معالجة القضايا الاجتماعية المنتشرة في المجتمع وهذا ما استدعى الروائي لتسخيره في أغلب أعماله السردية كقضية التقاعد التي أشار إليها في سرديته هوامش الرحلة الأخيرة ، ومدونتنا المختارة هذه ، إضافة إلى ظاهرة التجمعات في المقاهي كمقهى السعادة الذي ورد ذكره في رواية سفر السالكين ، ومقهى كل من وهران وورقلة باعتبارهما محطات ملازمة لسفر البطل معمر الجبلي في رواية هوامش الرحلة الأخيرة ، إضافة إلى قضية الإطلاع على الجرائد اليومية التي لا تكاد تخلو من ظاهرة نشر أخبار الآفات الاجتماعية التي انتشرت في الجزائر المستقلة بعيد الاستقلال وزادت حدة في عصرنا الحالي ،

فأغلب الاسترجاعات سلطت الضوء على التغيرات التي طرأت على شخصية البطل خصوصا ما يمكن تسميته بالطقس الصوفي .

مختتم:

بعد رحلتنا الّتي اعتمدت على استخراج أهم الأبعاد الصّوفية الّتي احتوتها الرّواية " سفر السّالكين" للرّوائي محمّد مفلاح توصّلنا إلى مايلي :

1- يعتبر العنوان بمثابة أيقونة أحالت للتناص بين مدونتي المختارة "سفر السالكين"، وكتاب بن قيم الجوزية الّذي يعتبر من أهمّ الكتب الّتي تناولت المنازل الإيمانية والموسوم ب " سفر السّالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين"
2- اعتمد الرّوائي على اختيار أسماء من التّراث الجزائري وعلى رأسها اسم الشّخصية البطلة التي تعتبر امتداد للقبيلة العربية قبيلة بني هاشم.
3- استطاعت الشّخصية البطلة من اللجوء إلى التّصوّف وذلك عبر تسخير بنية السّفر والارتحال من مكان إلى آخر.
4- تمكّن الرّوائي من الفصل بين الشخصية البطلة والواقع و إقحامها في عالم التّصوّف لنقل رؤيته الإبداعية .
5- عكست لنا الشخصيات وخصوصا البطل الهاشمي المرتحل نمط تفكير المواطن الجزائري اتجاه قضايا المجتمع غداة الاستقلال .
6- اشتملت الرّواية على شخصيات واقعية آمنت بفكرة التّصوف، واعتمدت عليها كوسيلة للهروب من الواقع .
7- يمكن القول أنّ روايتنا رواية تجريب بامتياز لمَ حوته من تجديد تمثّل بالانفتاح على التراث السّردي الرّحلي من خلال طرح فكرة التّصوف ، وفي هذا دليل كبير بأنه يمكن للإبداع الجزائري الرّجوع للتراث والنّهل منه بغية التجديد ، وليس بالضرورة محاكاة الرّواية الغربية في تجديداتها .
8- الرّجوع لشخصيات متنوّعة، تباينت بين شخصيات دينية، وشخصيات تاريخية، وشخصيات أدبية، وهذا يعكس لنا المستوى الثّقافي للذات الكاتبة " محمّد مفلاح "

وأخيرا يمكن القول أنّ أعمال الرّوائي المبدع محمّد مفلاح أعمال فنّية تزخر بالتّنوّع والتّجديد الذي أشرنا إلى جزئية صغيرة منه، وهي الرّجوع للسرد الرحلي لمناقشة فكرة التّصوّف، لهذا ندعوكلّ مهتم بالإبداع السردي الجزائري للإطلاع أكثرعلى بقية أعماله، فهي بحق أيقونة مميزة في مجال الإبداع والتّجريب .

هوامش المداخلة:

[1])- محمّد مفتاح، **ديناميّة النّص، المركز الثقافي العربي، الدذار البيضاء –المغرب -، (د.ط)، 1987م، ص72.**

[2])- الجوزية هو فقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم (691 ه -751ه/1292م- 1350م) من أهم مؤلفاته زاد الميعادفي هدي خير العباد، الوابل الصيب من الكلم الطيب، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي يُنظر ويكيبديا: wiki httpsmllar.m.wikipedia .org تاريخ الدخول:2023/01/07م، زمن الدخول:15:10سا.

[3])- محمّد مفلاح، **"سفر السّالكين "** ، دار الكوثر للنشر والتّوزيع مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان-ط1، سنة1999م، ص100.

[4])- **م.ن**، ص7.

[5])- **م.س**، ص 65.

[6])- **م.ن**، ص66.

[7])- **م.ن**، ص98.

[8])- **م.ن**، ص107.

[9])- **م.س**، ص12.

[10])- **م.ن**، ص13.

[11])- محمّد مفلاح، **سفر السّالكين، ص37.**

[12])- **م.ن، ص90.**

[13])- ممدوح الزّوبي، **معجم الصّوفية**، دار المسيرة، بيروت –لبنان –ط2، 1987م، ص429.

)- سناء الجماي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، كنوز المعرفة العلمية، الأردن، ط1، 2014م، ص115.[14]

)- **م.س**، ص 76.[15]

)- **م.ن، .ص 67**[16]

مراجع المداخلة:

1. **سناء الجماي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، كنوز المعرفة العلمية، الأردن، ط1، 2114م.**
2. **محمّد مفتاح، دينامية النّص، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء-المغرب-، (د.ط)، 1987م.**
3. **محمّد مفلاح، سفر السّالكين، دار الكوثرللنشر والتّوزيع مكتبة بيروت، لبنان-، ط1، سنة1999م.**
4. **ممدوح الزّوني، معجم الصّوفية، داربيروت، لبنان- ط2، 1987م.**
5. **Wiki.htt psmllar.m.wikipedia.org**